الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
University Of Damascus
كلية الفنون الجميلة الثانية ـ السويداء

تاريخ الفن (4)

المحاضرة ـ 9

الفن في نهاية القرن التاسع عشر

(مدرسة الهواء الطلق وجماعة الباربيزون)

مدرس المقرر

أ.د. عبداللطيف سلمان

الفن في نهاية القرن التاسع عشر

مدرسة الهواء الطلق وجماعة الباربيزون

بينما كانت المعركة محتدمة بين المذهب الكلاسيكي وزعيمه "أنغـــر" من ناحية، والمذهب الرومانتيكي وزعيمه "ديلاكروا" من ناحية أخرى، وتحت تأثير النجاح والنتائج الباهرة التي حققها الفنانون الانكليـــز وعلى رأسهم "تيرنر"، و"كونستابل"، عندما خرجا إلى الطبيعة وسجلا على لوحاتهما مشاهدها في حـــبٍ وإيمانٍ بالطبيعة يبلغ حد التصوف.. والإعجاب الذي لاقته أعمالهم في فرنسا، وتحت تأثير كتابات "جان جاك روسو"، ثم "إميل زولا"، و"بودلير"، انتشرت في فرنسا الدعوة إلى "الخروج إلى الطبيعة" باعتبارهـــا "الملجأ والملاذ".

فظهرت دعوة هادئة، تبناها جيل من الرسامين الفرنسيين لا يهتم بهذا الصراع، ويرفض المذهبين، اعتنق فكرة الابتعاد عن المدينة بزيفها وضجيجها ومساوئها، واتجه إلى الهجرة والحيـــاة في الريـــف والغابـــات، وتصوير هذه المشاهد الطبيعية التي لم تمتد إليها يد التهذيب والإصلاح.

وتجمع عدد منهم في قرية صغيرة تسمى "باربيزون Barbison" عند أطراف غابة "فونتينبلو".. وهنـــاك كانوا يرسمون في الهواء الطلق مشاهد من القرية والغابة المجاورة، وقد تميزت لوحات هذه الجماعة بأنها تعبر عن نظرة عاطفية مملوءة بالعشق للطبيعة، لأنها تختار الجمال الطبيعي البكر وتسجله بألوان نضـــرة زاهيـــة. لكن لوحات هؤلاء الفنانين لم تحظ برضاء المسؤولين عن معرض الصالون ورجال "أكاديمية الفنون" الذين اعتبروها "خشنة ريفية عديمة الأناقة".

إن جماعة الباربيزون هم الاتجاه الثالث الذي تم في القرن التاسع عشر، وهو الاتجاه الذي يقـــوم علـــى دراسة الطبيعة مباشرةً، ونقلها بدقةٍ وأمانةٍ. فلقد كان اتجاه مصوري الطبيعة حتى منتصف هذا القرن، يقوم على نقل الخطوط الكبرى للطبيعةٍ ومن ثم تلوينها في المرسم بألوان عاتمة لا ارتباط بينها وبـــين الألـــوان الطبيعية أو الموضوعات الخارجية.

إن الطبيعة قادرة أن تمد الفنان بمعين لا ينضب من الثروة الجمالية واللونية. وهكذا انصرف الفنـــانون الواحد تلو الآخر إلى العيش في قلب الطبيعة، يستخرجون منها لوحاتهم الطبيعية الحية. ومنـــها اســـتمدوا مواضيعهم المبتكرة التي فاجأوا بها المجتمع الباريسي. ولكن رجال الأكاديمية المتزمتين لم يعجبهم هذا التحول الجديد فقاوموه وسخروا منه.

ومن أبرز ممثلي الباربيزون:

1- تيودور روسو Theodore Rousseau (1812-1867)م.

بدأ الرسم وهو صغير السن مع ابن عمه حيث نقل بعض الصور من أعمال أساتذة الفن السابقين في فرنسا وألمانيا، وقد بدأ تمرده على التقاليد الأكاديمية وهو في سن الثامنة عشر، حينما كان طالباً بمدرسة الفنون الجميلة "البوزار".

لقد كان أشد الفنانين ثورة على سيطرة الأكاديمية الفرنسية، وتحمل الكثير من معاكستها، مما دفعه إلى التطرف في التعلق بالطبيعة. حتى أنه اهتم بأدق التفاصيل فبدت أعماله تسجيلية، وكان تعلقه بالطبيعة يصل إلى حد التصوف، وقد رفضت لوحاته التي تقدم بها إلى صالون باريس بعد عام (1836)م. والتي تصور المناظر الطبيعية الخشنة، وابتداء من عام (1839)م. كان تيودور روسو يملك مرسماً للرسم في قرية باربيزون، فقد كان شديد التعلق بالطبيعة، فعكف على دراستها مدققاً في رسم كل صخرة وكل شجرة، بل كل غصن وكل ورقة، وكانت لوحاته أقرب إلى تسجيل معالم الطبيعة تسجيلاً حرفياً أميناً، ولهذا يعتبر بحق رائد المذهب الطبيعي في فن الرسم الفرنسي رغم تصنيفه ضمن الرومانتيكيين عند بعض النقاد. لقد بقيت أعماله مرفوضة وذلك حتى قيام ثورة (1848)م. التي فتحت أبواب الصالون فترة من الزمن لجميع الفنانين.

وفي ظل الحكومة الجمهورية الجديدة حصل على الميدالية الذهبية. ولكنه عندما أقام معرضاً لأعماله عام (1855)م. لقي نجاحاً ممتازاً وكانت أبرز موضوعاته الشجر، (الصورة رقم 1).

الصورة رقم 1: تيودور روسو .

2- شارل فرانسوا دوبيني Francois Doubigny (1817-1878)م:

يعتبر أهم أعضاء جماعة "الباربيزون" من الناحية الفنية. وقد أصبح أوسعهم شهرةً بفضل أسلوبه الغنائي في رسم المناظر الطبيعية.

ولد في باريس عام (1817)م. وكان والده رساماً للمناظر الطبيعية، عمل كمرممٍ إلى جانب رسم اللوحات والرسوم الصحفية. وقد زار إيطاليا عام (1836)م. وعرض لوحاته في فن الحفر (الجرافيك) لأول مرة في صالون باريس عام (1838)م. وقد حصل على تأييد الحكومة الجمهورية بعد سقوط الإمبراطورية الثانية عام (1848)م. وابتداء من عام (1849)م. بدأ تقدير فنه بسبب الفنان "كامي كورو". وقد توطدت صداقتهما من عام (1852)م.

وهب دوبيني نفسه للرسم في الهواء الطلق، حتى أنه بنى عام (**1857**)م. مرسماً في قارب سمَّاه "البوتين" حتى يتاح له الرسم في الأنهار حول باريس، (الصورة رقم 2).

وقد زار لندن عام (**1866**)م. كما لجأ إليها خلال الحرب السبعينية وخلال حكومة الكومونة عامي (**1870**-**1871**)م. وهناك التقى بالفنان "كلود مونيه". وتوفي في عام (**1878**)م.. الصورة رقم **2**: شارل فرانسوا دوبيني – "زورق على بركة".

3- كاميل كورو Camille Corot (1796-1875)م.:

هنالك رسامان آخران ينتميان إلى جماعة الباربيزون، من باب الصداقة أو الزمالة وليست انتماءً أو انضواءً، الأول هو الرسام الرقيق "جان باتيست كاميل كورو"، وكان والده طحاناً وكان يرسم على سجيته، وهو من أسرة ميسورة الحال، وقد تأكد والده أنه لن يصبح من رجال الأعمال، فتركه يمارس هواية الرسم، ويقدم له مصروفاً يفي باحتياجاته حتى بلغ سن الخمسين، وقد أقبل الحظ على "كورو" في أواخر أيامه، فكان يجني من بيع لوحاته أضعاف ما جناه والده من طاحونته الرابحة.

ويمثل هذا الفنان استثناءً بين جيله، فقد اشتغل في رسم اللوحات ليلاً ونهاراً، تلقى بعض الدروس لدى اثنين من الرسامين الكلاسيكيين للمناظر الخلوية.

لقد تأثر كورو بكونستابل عندما رأى أعماله لأول مرة في صالون باريس عام (**1824**)م.، وفي عام (**1825**)م. سافر إلى روما لأول مرة ولمدة ثلاث سنوات، وهناك أتقن رسم لوحات المرحلة الأولى من فنه، كما سافر عام (**1834**)م. إلى إيطاليا للمرة الثانية وغيرها من الدول، وقد أمضى في تجوالاته نحواً من (**20**)سنة، وكانت علاقته بجماعة الباربيزون قوية.

لقد قام كورو برحلات عديدة داخل فرنسا وخارجها، وقد استمرت حياته عدة سنوات على نفس الإيقاع، كل ربيع يخرج في رحلة أو رحلات لمختلف مناطق فرنسا أو إيطاليا أو القسم الفرنسي من سويسرا، حيث يرسم دراساته عن الطبيعة التي تساعده في تصميم لوحاته الزيتية الضخمة للصالون، وكان يعود من رحلاته ليقيم بين أصدقائه في قرية "باربيزون"، لكنه خلال إقامته معهم كان يحب الاعتزال في كوخه الذي اشتراه له والده في قرية مجاورة، حيث كان يرسم المناظر الطبيعية بأسلوبه الدقيق، والتي لم تكن تختلف كثيراً عن لوحات زملائه رسامي المناظر الطبيعية. ولما ذاع صيته حصل على جائزة لجنة تحكيم الصالون عام (**1846**)م. وبعدها على جائزة الشرف (أي الدولة).

لقد تميزت مناظره الطبيعية في المرحلة الأولى بطابعها البنائي القوي المرسوم بعناية شديدة، وقد ظل

كذلك حتى منتصف عمره الفني عندما بدأ يرسم لوحاته بأسلوب جديد، حيث تبدو العناصر غامضة تغطيها طبقة سميكة من الضباب، حتى تبدو كأنها من عالم آخر ، (الصورة رقم 3).

لكن بعد فترة انتقلت إلى فرنسا عدوى العصر الفيكتوري- عندئذٍ أصبحت لوحات كورو قبلة الأنظار، واشتد الطلب عليها، فراح يرسم العشرات بل المئات من الصور وكلها أشبه بالأطياف أو الأبخرة المتصاعدة وكأنها توشك أن تعلق في الفضاء خارج إطار اللوحة.

وإذا كنا ننظر إلى "كورو" كأحد الفنانين العظماء، فذلك يرجع إلى رؤيته المبتكرة وإلى بساطة أسلوبه، وكذلك إلى الجو الشاعري الذي يكتنف أعماله والتي تدفعنا إلى مشاركته في حب الريف الذي كان يحتل المرتبة الثانية بعد حبه للفن.

الصورة رقم 3: كاميل كورو – "الكاتدرائية والمدينة من خلال الأشجار".

4- هونور دومييه Honore Daumier (1808-1879)م.:

ولد دومييه في "مرسيه" من أب يحترف تشكيل الزجاج، وعندما كان الابن في سن السابعة انتقلت الأسرة إلى باريس، ولكن عندما قرر الابن بعد عدة سنوات أن يصبح رساماً، ثار الأب وحاول أن يثنيه عن عزمه.

وبالفعل جرب دومييه أن يحترف بعض المهن قبل أن يدخل إلى إحدى مدارس الفن، ولكنه لم يستمر في هذه الدراسة، فدعاه صديق ليعمل في محترف للرسم على الحجر (الليتوغراف) فتعلم هذه الصناعة، وبذلك عثر دومييه على وسيلة للتكسب من فنه، وذلك عندما اجتذبت رسومه أنظار صاحب مجلة (الكاريكاتير) وهي مجلة سياسية كانت تعارض الحكومة القائمة، فدعاه للعمل عنده، وكان عندئذ في الحادية والعشرين من عمره. وقد ظل يرسم بها حتى أوقفت بمرسوم حكومي صدر عام (1835)م. يقضي بتحريم النقد السياسي. فاشتغل دومييه بجريدة (شاريفاري) وبقي (13) عاماً ينشر فيها أكثر رسومه النقدية الشهيرة.

لم يكن دومييه مجرد رسام كاريكاتير، لقد كان فناناً عظيماً أيضاً يقف إلى جانب رافائيللو، ورامبرانت، وروبنز، وهم الفنانون الذين تأثر بهم، ودرس رسومهم ولوحاتهم المعروضة في متحف اللوفر في شبابه المبكر.

في عام (1860)م. فصل دومييه من عمله الصحفي النقدي وكان في الثانية والخمسين من عمره، فانصرف إلى التصوير، ولكن هذا الفن لم يعد عليه بمورد عيش ينفق منه على نفسه وعائلته، فعاش ثلاثة

أعوام في فقر شديد، حتى عاد صاحب جريدة "الشاريفاري" باستدعائه للعمل في جريدته من جديد. فظل يرسم لمدة (12) عاماً أخرى، بالرغم مما أصاب بصره في تلك السن من ضعفٍ شديد.

رسم دومييه مجموعة محدودة من اللوحات الزيتية يغلب عليها اللون البني والأحمر تصور مشاهد من الحياة اليومية أو تستمد موضوعاتها من أدب "فولتير"، و"لافونتين"، و"سيرفانتس".

لكن بسبب وعيه بالظروف المحيطة به والخلفية الفكرية الناضجة والتربية الديمقراطية، فقد فضَّل أن يرسم لوحات عن: "ركاب الدرجة الثالثة" (الصورة رقم 4)، و"لاعبو الشطرنج"، و"جامع اللوحات المطبوعة"، و"كريسبين واسكابين"، وأخيراً لوحة "دون كيشوت وسانكوبانزا".

الصورة رقم 4: هونور دومييه – "ركاب الدرجة الثالثة".

لقد صور موضوعات من الحياة اليومية طبقاً لرؤيته الخاصة. فكان يهتم بتفاصيل تؤرخ للوضع الراهن أيامه وتبين إلى أي مدى كان لَّماحاً ومعبراً عن عصره بدقةٍ وإتقانٍ يحسده عليها أي فنان من رسامي اللوحات التزيينية.

لقد ذاق "دومييه" في أواخر حياته مرارة البؤس الشديد، وخاصة بعد فقدان صديقيه "كورو"، و"دوبيني"، وعندما توفي هذا الفنان العظيم الذي يعتبر بحق وبلا جدالٍ من أهم رواد الفن الحديث، دفن مغموراً منسياً وعلى نفقة الدولة كما يُدفن الصعاليك والمتشردين.

بعد وفاته أقبل عددٌ من تجار الصور الماكرين، فاشتروا من أرملته ما تركه من لوحات مقابل مبلغٍ محدودٍ من الفرنكات. لقد عاش دومييه طوال حياته فقيراً تعيساً ومات مظلوماً، و لم تمض سوى سنوات بعد وفاته حتى تم اكتشاف قيمته وصار من مشاهير الفنانين، فأخذ هؤلاء التجار في إخراج هذه اللوحات من مخابئها، الواحدة بعد الأخرى، ليبيعوها بأثمانٍ مرتفعةٍ لم تلبث أن ازدادت مع السنين ارتفاعاً، فجنى غيره ثمار كده وعنائه.

وميزة فن "دومييه" أنه يبرهن على حقيقة أن الفن يمكن أن يحمل فكراً ومعناً، ويظل مع ذلك فناً عظيماً. فلوحاته تعتبر آيات وروائع في مسار الفن الحديث، وذلك من زاوية حبكة التصميم، وروعة الشكل، وبلاغة الكتل، وتوازن المستويات المرتدة والمتقدمة، وإيقاعية التخطيط.

وقد رسم "دومييه" وصور التعساء في عصره، كما صور الذين كانوا سبباً في هذه التعاسة، لقد كشف سر متصنعي الوقار، وفضح المنافقين واللصوص والأوغاد والفاسقين. ونحن نرى في لوحاته ورسومه الفقراء المحرومين ومحدثي النعمة المنتفخي البطون، والمشعوذين والممثلين المبالغين في تمثيلهم، والقضاة المرتشين،

والمحامين المتكالبين على المال.. لقد صور باختصارٍ الناس على طبيعتهم كما هم دون تزويقٍ أو دفاعٍ عن هفواتهم.

5- غوستاف كوربيه Gustave Courbet (1819-1877):

يعتبر كوربيه زعيمَ ومُنَظِّرَ النزعة الواقعية Realisme في فن الرسم الأوروبي، والتي وقفت في وجه الرومانتيكية والأكاديمية، ولد في قرية "أورنان" التي خلد ذكرها في رسومه، من أسرة ميسورة الحال من المزارعين، وأبدى اهتماماً خاصاً منذ صباه بدروس الرسم من الطبيعة وسط الحقول، فأرسله والده إلى كلية بيزانسون الملكية، ثم إلى باريس لدراسة القانون، ولكن الفتى كان يقضي معظم وقته في دراسة الفن على يدي أحد تلاميذ دافيد. ولكن كوربيه لم يلبث أن عاد إلى قريته معلناً تصميمه على تكريس حياته للفن، وقد تعهد أمام أسرته بأنه سيصبح فناناً مرموقاً من أعلام الرسامين قبل مضي عشر سنوات إذا ما أتيح له العمل في الفن، فأذعن الوالد في النهاية لرغبته، بعد أن رأى شدة إصراره، بل شجعه على ذلك واعداً إياه بأنه لن يتردد إن لزم الأمر في بيع جميع حقوله لمساعدته على تحقيق أمنيته. وعاد إلى باريس عام (**1840**)م. فانهمك في دراسة الفن بكل ما يملك من طاقةٍ هائلةٍ، وأبدى نشاطاً جماً وموهبةً فنيةً رائعة. لكنه لم يلبث أن نفر من التعليم الأكاديمي، فأخذ يتردد على متحف اللوفر، فنسخ في هذه الفترة عدداً من لوحات "رامبرانت"، و"فرانز هالز"، و"ديلاكروا".

في عام (**1844**)م. عارض كوربيه الأكاديمية واشترك في صالون باريس حيث استطاع أن يعرض أسلوبه الواقعي، ولكنه لم يتمكن بعدها من عرض شيء حتى قامت ثورة (**1848**)م. وفتحت أبواب الصالون أمام جميع الفنانين فعرض كوربيه عدداً من أعماله التي تميزت في ذلك الوقت بموضوعاتها الواقعية بالرغم من أسلوبها الرومانتيكي، وكان من حسن حظه أن فازت إحدى لوحاته بجائزة الصالون، وبذلك يكون قد دل على أنه أوفى بالعهد الذي قطعه على نفسه أمام الأسرة، ثم إن هذه الجائزة قد أعطته الحق في أن يعرض أعماله في السنوات التالية دون حاجةٍ لموافقة رجال التحكيم على عرضها، فعرض عام (**1850**)م. لوحة ضخمة تبلغ مساحتها حوالي (**3**×**7**) متر وهي بعنوان: "جنازة في قرية أورنان Funeral Ornans" (الصورة رقم 5). وقد قال عنها كوربيه: "إنه الدفن الحقيقي للرومانسية".

الصورة رقم 5: غوستاف كوربيه – "جنازة في قرية أورنان".

هذه اللوحة صور فيها عدداً من القساوسة والشمامسة وأهل البلدة وأقارب الميت، يتوسطهم "تـــربي" راكع عند حافة القبر، واللوحة خالية من أي تزويق أو مثالية،.. إنها تظهر للمشاهد وكأنها واقع طبيعـــي حقيقي لا غرابة فيه حتى نتصور للحظة أننا أمام أناس حقيقيين في جنازة واقعية.

هذه الواقعية لم يتحمس لها الرسميون في ذلك الحين. فقد كان أمراً غريباً أن تخصص لوحة بهذا الحجـــم الكبير لتصوير هذا الموضوع المعبر عن أفراد من الطبقة الدنيا، بأسلوبٍ يخلو من التزيين والمثالية، ويتجرد من العواطف السامية أو النبيلة.. لقد اعتبروه ابتذالاً في الفن لا يغتفر.

إن الفنان الذي وصف نفسه "بالواقعية"، لم يرسم أبداً مشـــاهد باريسية، رغم أنه كان يعيش معظم العام في باريس، ولوحته "امرأة شابة على شاطئ السين"، ظلت امرأة ريفية، ويمكن اعتبارها من أي مكان إلاَّ باريس، وقد رسم لوحات مباشرة عن حياة الريفيين مثل لوحة "قاطعي الأحجار" (الصورة رقم 6)، وباعتباره صياداً مـــاهراً رسم لوحات عن مشاهد الصيد.

الصورة رقم 6: غوستاف كوربيه – "قاطعو الأحجار".

في عام (**1855**)م. أقيم في باريس تحت رعاية نابليون الثالث، معرض صناعي عالمي ضخم، وإلى جانبه أقاموا معرضاً للفنون الجميلة شارك فيه كبار الرسامين من (**28**) دولة وأقيم في قصر الفنـــون.. ورفـــض منظموا المعرض عرض لوحات كوربيه.

فما كان من هذا الرسام المشاغب إلاَّ أن أقام لنفسه معرضاً بجوار قصر الفنون سمَّاه "جنـــاح الواقعيـــة" عرض فيه لوحاته وثبت على مدخله لافتة كتب عليها: "الواقعية: معرض ومبيع – أربعون لوحة وأربعـــة رسوم من عمل غوستاف كوربيه – الدخول: فرنك واحد".

كانت أهم لوحة في هذا المعرض وأكبرها وأشهرها هي: "مرسم الرسام" (الصورة رقم 7)، حيث نرى المرسم المتسع الذي تغطي جدرانه اللوحات بينما تجمع فيـــه مجموعة من الأدباء والمثقفين من أصدقاء الفنان، يـــبرز مـــن بينهم الشاعر "بودلير"، وعلى الجانب الآخـــر جماعـــة مـــن أصدقاء الفنان وموديلاته. وفي الوسط نرى الفنان كوربيـــه وهو يضع اللمسات الأخيرة على لوحة التي تمثل منظراً طبيعياً.

الصورة رقم 7: غوستاف كوربيه – "مرسم الرسام".

وبالرغم من الموقف الذي اتخذه الرسميون من رجال الأكاديمية، وسخرية رجال المجتمع الباريسي بفـــن كوربيه (حتى أن إحدى لوحاته أثارت أعصاب الإمبراطور مرة فمزقها بسوطه)، إلاَّ أن لوحاتـــه كانـــت رائجةً وغالية الثمن، وقد أصبح أشهر رسامٍ في عصره بعد أن أقام جناح الواقعية هذا.

كان كوربيه يعتقد أن "الواقعية" فن "ديمقراطي"، فكان لا ينقطع عن التنقل بين المدن الفرنسية لإقامة المعارض والدعاية لمذهبه. لقد أصبح عقب منتصف القرن التاسع عشر أشهر رسامٍ في عصره بعد أن أقام "جناح الواقعية"، وبلغ صيته وصيت الواقعية إلى ذروته عام (**1867**)م. عندما أقيم في باريس معرض عالمي آخر عرض فيه كوربيه (**130**) لوحةً وعدداً من التماثيل، وفي عام (**1869**)م. أتيحت له الفرصة للانتقام لكرامته من الإمبراطور عندما رفض بكبرياءٍ شديدٍ وسام الشرف الذي كان يريد أن يمنحه إياه، وقال كوربيه في رسالته إلى وزير الفنون الجميلة رافضاً الوسام: "لم يكن بوسعي قبول هذا الوسام في أي حالٍ أو أي وقتٍ، ومن باب أولى ألاَّ يسعني قبوله اليوم حين تتكاثر الخيانة في كل ميدان، وحين لا يملك الضمير الإنساني إلاَّ أن يعتصره القلق لكل هذه الأنانية وهذا الغدر.. وضميري كفنان لا يمكن أن يرضى بقبول منحةٍ تمدها إليَّ يد الحكومة، فليست الدولة مؤهلةً للحكم في شؤون الفن".

وقد أعلن بهذا البيان الحرب على الفن الأكاديمي الرسمي، فقد رسم فلاحين، وعمالاً، ومناظر طبيعيةً، وفاكهةً، وأزهاراً بأسلوبٍ واقعي، ومع ذلك كان السبب في جماهيرية أعمال كوربيه هو صفاتها الإنسانية وموقفها الاجتماعي لا الفني.. وكان الفنان لا يجد فارقاً بين الحقيقة الاجتماعية والحقيقة الفنية. كما كان فناناً سياسياً.

كافح كوربيه في سبيل الإنسان والفنان، ودعا إلى إبراز الواقع والابتعاد عن الدراما الرومانتية الجوفاء، ولذلك فإن لوحاته حافلة بالحياة والمعنى، فلقد تناول الموضوعات الواقعية وعبر عنها بكثيرٍ من العاطفة الاشتراكية، كما في لوحة " قاطعو الحجارة".

تعاطف كوربيه مع الحركات الثورية التي كرست جهدها لإنهاء الملكية الفرنسية، وفي عام (**1870**)م. استسلم نابليون الثالث للألمان في موقعة "سيدان" فسقطت الإمبراطورية الثانية، وتولت الحكم جمهورية جديدة، فعين كوربيه مديراً للفنون الجميلة ومشرفاً عاماً على متاحف فرنسا، فكان أول ما قام به أن عمل بهمةٍ ونشاطٍ على حماية الكنوز الفنية من أخطار الحرب. ووجه في نفس الوقت خطاباً مفتوحاً إلى الفنانين الألمان يدعوهم إلى العمل معاً على نزع السلاح، والتآخي بين الأمم، وإنشاء "ولايات متحدة أوروبية".

غير أن هذا النداء لم يجد آذاناً صاغيةً، واستمرت الحرب، وزحف الألمان على باريس، فسقطت الحكومة الجمهورية، وقامت حكومة الكومونة، فأصبح كوربيه عضواً في اللجنة الثورية التي حكمت المدينة لفترةٍ قصيرةٍ في عام (**1871**)م. فعين كوربيه رئيساً لاتحاد الفنانين.

خلال حكومة الكومونة الذي دام سبعون يوماً فقط، قام بعض المتعصبين بإسقاط العمود المقام في ميدان "فاندوم" الذي يعتبر نصباً تذكارياً لانتصارات نابليون، فقد اعتبروه رمزاً للإمبراطورية التي سقطت.. ولكن لم يمض أسبوع حتى سقطت حكومة الكومونة واستولى المحافظون من جديد على الحكم، فعاد

الأكاديميون إلى تولي مقاليد الفن. وهكذا أتيحت لهم فرصة ذهبية للانتقام من كوربيه، فاتهم بأنه المسؤول عن هذا التدمير، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر.

وبعد إطلاق سراحه تقرر فتح ملف القضية من جديد ففر كوربيه إلى سويسرا، خوفاً من اعتقاله مرة أخرى.. وحكم عليه غيابياً بدفع (**300**) ألف فرنك نفقات إعادة تشييد العمود التذكاري، وصودرت لهذا الغرض جميع ممتلكاته ولوحاته.

وقد عاش كوربيه بقية حياته في سويسرا فقيراً عليلاً حتى توفي عام (**1877**)م. في قرية على حافة بحيرة جنيفا.

لقد أثرت رسومات كوربيه أخيراً في حركات الرسم الأساسية مثل: "الطبيعية"، و"الانطباعية".

لقد انتُقِدَ كوربيه في عصره لتصويره القبح، والعنف، والجوانب المتشردة في الإنسان، والطبيعة، ولكنه لم يُنْتَقَد أبداً باعتباره رساماً ضعيفاً، فقد كان أستاذاً في مادته، ولقد أرسى في وقتٍ مبكرٍ قاعدة الصدق والتزام الحقيقة في العمل الفني، بعد أن كانت مهمة الرسام هي انتخاب الرفيع والجليل ليرسمهما، لكنه كان أقدر الرسامين وأبرعهم في عصره.

إن السبب لعدم الاهتمام الواسع في القرن العشرين بفن كوربيه في العالم الغربي، ذلك لأن مذهب الواقعية الاشتراكية في الفن الذي تبنته الثورة البلشفية (الشيوعية) في روسيا، ثم في الدول الاشتراكية سابقاً في شرق أوروبا، هذا المذهب جعل فن كوربيه مثلاً أعلى للواقعية (الصورة رقم 8)، ومن هنا تعمد الإعلام الغربي والنقاد تجاهل هذا الفنان الكبير وإعطائه مكانةً متواضعةً في معظم دراسات تاريخ الفن التي نشرتها الدول الغربية خلال القرن العشرين.

الصورة رقم 8: غوستاف كوربيه – "باقة ورود".

=========